فى الصحراء

للأستاذ عبد المنعم خلاف

عشقتها منذ أن عاش جسمى بين يديها أربعا وعشرين ساعة فى الخريف الماضى كذرة من رمالها فى وَهَج ظهيرتها ، وأفياء آكامها ، وطَفَل أصائلها ، وأشباح دياجيها ، ورَهَبوت عوالمها ... ومنذ أن لمست يدا قوية من طبيعتها تمتد إلى قلبى فتضربه بشعلها وتعصره برهبتها ، وتحمله فى أجوائها مع الهبوات ، وتسقيه من آلها وسرابها أمواجا تظمىء ولا تروى ، وتتلف ولا تسعف ، لأنها أحلام الأرض الظامئة والأكباد الحرّى ..

واستقبلت العودة إليها فى ظرف مُوات استقبال المتطلع إلى عالم مسحور ناطق بالصمت ، مُحى بالموت ، مثير بالهدوء ، مُنَضَّر بالشوك ، مُرو بالجفاف ، مؤنس بالوحشة ، يضج القلب فيه ضجيج الدنيا وإن صمت هو صمتَ الآخرة ، ويحوم الفكر فيه حول العقدتين : الأزل والأبد ، فتختلط الحواس ويتداخل فعلها فتسمع العين وترى الأذن وتُلمس الأضواء والألوان !

* * *

سلام عليكِ أيتها الذرات المتشابهة الراقدة على مهاد الأزل حالمةً بالنشقلة على جناح الرياح إلى عوالم الأنهار والأزهار والحيوان .. سأمانة من طول الرقاد على بساط الديموم ، تمثلين العقم والبساطة والصورة الأولى للأجسام ... تنظرين إلى الذرات العليا المضيئة الدائرة فى فضاء ربى والراقدة أيضا على صدر الفراغ .. تحلم بالقرار كما تحلمين أنت بالانطلاق والفرار ..

فى قلبى ذرة صغيرة مُعَربِدة لذّاعة وددتُ لو استحالت إلى جودك ! إذن لأراحت واستراحت من رُوح الحياة .. إنها ذرة تحلم بالرياح كما تحلمين . فهى ثائرة تريد الانطلاق من ضيق المكان .. وهى دائبة على ذلك حتى يفنى الزيت من السراج ، وتخمد الوَقْدة التى وضعت شرارتها يد الله فى ذراتى الأولى !

* * *

نحن ركب مُسيَّرون لا سائرون أيتها الذرات .. مسيرون بعواصف خفية فهى أهول ، مكبوتة فهى أعنف ، متنافرة فهى أسرع فى تحطيمنا ونقض بنائنا . فلا إرادة ولا خيرة فى النقلة ، وإنما هى رياح من نوع آخر ، وما أكثر جنود ربى !

* * *

سألتُ : كم مضى من دهرك أيتها الديموم ... ؟ فأجابت : طفلة أنا لا أعى دورات الفلك ، ولا أشيخ على الدوام ... وإنما تقاس الأزمان وتعرف الأعمار بجفاف فى ورقة ، أو تجعيدة على وجه . وأنا كما ترانى علامة ابتداء ...

وسألتُ : لمن خُلق ليلك والنهار ، وشمسك والقمر ؟ ومن يسمع تناوُحَ رياحك وعزيفَها على شعاف جبالك ، وصفيرَها فى كهوفك ؟ ومن يَسْمُرُ مع نجومك ، ويشهد تقاتل عناصر الطبيعة على صدرك ؟ لمن وَشائعُ الغيوم على صفحات سمائك ، وألوانُ جُدَدك وظرابك وآكامك ؟ وأين كل ما صبَّته الشمس والكواكب على أديمك من أضواء وألوان ؟ أللعابرين فيك كالنسمات والطائرين عليك كالخطرات ؟ ! أكل هذه الأكوان للشياه والبُعران والرُّعيان ؟ ! ويحَ الجمال من غير عيون تجتليه ، والجلال من غير قلوب تستوحيه ، والسطور من غير قارىء !

فأجابت : سِرّى وسحرى أن أكون آبدةً عقيما متفردة . لأنى أرض الخفاء والمجهول والجن ... الجن الذين ملأوا آفاقى بتهاويلهم كما ملأتم دياركم بالشواخص والأجرام ... وقد خلقت لهم ، وإنّ منهم قلوبَ الشعراء والمتأملين ، السائرة مع الأضواء

ونفاقها وأكاذيبها وآثامها ونظمها على اختلاف تلك النظم ولعله أيضاً عند استعراض تلك الآراء والنظم العلمية الحديثة قد نظر إلى قول القائلين إن العاطفة الجنسية والعلم الحديث هما كالماء الذى تضعه فى الاناء القذر فيصير قذرا ، وتضعه فى الاناء النظيف فيكون نظيفاً ، والآنية تختلف كاختلاف النفوس وأصل الماء واحد سواء الذى وضع فى الاناء القذر والذى وضع فى الاناء النظيف .

ولكن لعل تلستوى أيضا قد فطن إلى أن هذا تشبيه لا أقل ولا أكثر ، وأنه عند امتحان النفوس وتطبيقه عليها يتلاشى ويتضاءل اذا أعوز الاناء النظيف من آنية النفوس البشرية

عبد الرحمن شكرى

والظلمات ترقبها فى الشفق والغسق ، الخافقة مع الهبوات والنسمات ترصد فعلها فى المدر والوبر والدوح والورق ، النائمة فى حضن جبل أو على ذراعى موجة أو فى عين نجم ، أو فى عش ، أو على زهرة منضورة نقطها الندى ، أو فى ناى راع ، أو فى قبر مهدم متفرد !

* * *

يا أم الفطرة ! أريد أن أقبض قبضة من ذراتك البسيطة التركيب ، البريئة من الدنس ، المطهرة من الرجس ، فأحصب بها وجوه المصانع وناطحات السحاب لعل أحجارها تذكر المهد الأول فترعى ذمه ، وتوشج رحمه ، وتزيح عنها دخان البارود لترى السماء وتسمع خبرها . . .

يا أم الفطرة ودينها ، انبهاملك ترك عقل « محمد » فى حيرة غداة شب عن الطوق يرعى ، ومجالى الفتنة والروعة فيك نادته إلى العزلة فى شعفة من شعفات جبالك يسأل الدنيا عن سرها وأزلها وأبدها وملكها ونحلها حتى حدثته السماء خبرها . ولم ينزل خبر السماء إلا فيك أو على حوافيك ، لأنك القدس والمطهر ، تسجد الطبيعة فيك بالاصباح والإمساء ، والنجوم والجبال والشجر والدواب ... وإن أهل الأرض مدينون لك بالظل الذى يجدون بردّه على قلوبهم وامتداده على أرواحهم ؛ ولقد نشرت « كتابك » على الدنيا مرة فطبعت كلماته على الآفاق كلها ؛ ولكن ركاما من الغيوم يكاد يخفيها ، فأرسلى رياحك الحارة تذيب الركام وتجلو كلمات النبوة . . تريد الأرض موجة جديدة منك أيتها الصحراء ، فاهتزى !

* * *

ضحكت بالقتاد والأشواك ضحكة خلتها بشاشة باك
أرسلتها فى الصمت همساً ولكن رنّ فى مسمعى صداها الحاكى
فرحة بالربيع دبّ على الأر ض وليدا يثيرها لحراك
فرشت فى طريقه الشوك والحمـ ـض ووشّت رمالها بالأراك

عجزت أن تجارى الخصب بالحب (م) وفرش الرُّبى ونفح الزواكى
فأنالت جهد المقل ، وما يطـــلب من عاجز بلوغ السماك

القاهرة عبد المنعم خلاف

٢ - عمر بن الخطاب *

للأستاذ على الطنطاوى

— ٦ —

كان المسلمون فى مكة - فكانت الخصومة بينهم وبين الكفار من قريش - خصومة فردية ، شخص يناوئ شخصاً ، وجماعة تقاتل جماعة . فلما كانت الهجرة واستقر الاسلام فى (يثرب) وفتحت له صدرها ، وقدمت لنصرته أبناءها وفلذات كبدها ، استحالت الخصومة إلى شبه (خلاف دولى) بين القرشيين المقيمين على الشرك ، العاكفين على الاصنام ، المدافعين عن الباطل ، وبين أهل (المدينة المنورة) بنور التوحيد - (أنصار) الاسلام وحماة الدين ، وجنود الله ؛ واتسع الخلاف وخاب مع الكفار المنطق وتعذر الصلح ولم يبق بد من الحرب

ومهما يقل اليوم (دعاة السلام) فى شناعة الحرب ويصفوا من أهوالها وينفروا منها ، ومهما يؤلفوا فى ذلك من كتب ويصنفوا من أصناف ، فان مما لاريب فيه أن هناك (حرباً مقدسة) مشروعة فاضلة ، هى الحرب التى تشب نارها دفاعاً عن الحق وذباً عن الفضيلة وتأديباً للمجرمين . . . ومن ينكر على الجند أن يحاربوا اللصوص والمجرمين ويمنعوهم أن يعيشوا فى الأرض فساداً ؟ ومن يمنع القاضى أن يقتل القاتل ليشترى بموته حياة أمة ، ويحبس الجانى ليضمن بحبسه حرية شعب ؟

كذلك كانت (معركة بدر) حرباً مقدسة ، أثيرت من أجل الحق والفضيلة والسلام والاسلام . . . فمشت إلى بدر (عصابة المجرمين) من قريش ، مزهوة زهو اللصوص ، شامخة بآنافها شموخ القتلة ، مستكبرة استكبار قطاع الطرق . . . ومشت فرق الجنود المسلمين متواضعة لله خاضعة له . لا قوة لها إلا قوة الحق ، ولا سلاح إلا سلاح الايمان ، ولا غرض لها إلا تطهير الأرض من أدران الشرك واوضار الظلم ومحو الارستقراطية السخيفة العاتية . .

(*) انظر الرسالة ١٦٨